בס"ד

في رِحاب التّوراة

دِراساتٌ وحِواراتٌ روحانيّة مُعمّقة في النّصوصِ التّوراتيّة الأسبوعيّة مع
الحاخام جوناثان ساكس

Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

نتقدّم إلى عائلة شِمل بجزيل الشُّكر والعِرفان على دَعمهم السخيّ لكتاب "في رِحاب التّوراة" (Covenant and Conversation),
ونُهدي هذا الكتاب لذِكرى الحاخام الراحِل هاري (حايم) شِمل طَيّبَ الله ذِكره.
"لقَد عَشِقتُ تعاليمَ التّوراة التي قدّمها الحاخام حايم شِمل منذُ اللحظة الأولى لاطّلاعي عليها، خاصة وأنه عَملَ جاهِداً على ألا تتطرّق تعاليمه للحقائق السطحية فقط، بل تعمّق في عَلاقتها بالحقائق الموجودة وراءها. وبرفقة زوجته أنّا، تلك المرأة الاستثنائية ذات الستين ربيعاً، فقد أسّس الحاخام حايم حياةً مُكرّسة لحُبّ العائلةِ والمُجتمع والتّوراة، فكانا زَوجين مُميّزين ومثالاً يُعتدّ به بكلّ ما تحمِلهُ الكلمة من معنى، الأمر الذي كان له عميق الأثرِ عليّ. " - الحاخام جوناثان ساكس

with thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

"I have loved the Torah of R' Chaim Schimmel ever since I first encountered it. It strives to be not just about truth on the surface but also its connection to a deeper truth beneath. Together with Anna, his remarkable wife of 60 years, they built a life dedicated to love of family, community, and Torah. An extraordinary couple who have moved me beyond measure by the example of their lives." — Rabbi Sacks

"فَيَقهيل" هو النصّ الأسبوعي العاشر من كتاب "شموت" (سِفر الخروج) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الأولى من المقطع الخامس والثلاثين وينتهي بالآية العشرين من المقطع الثامن والثلاثين

الحَيوانُ الاجتماعيّ

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

يقومُ نبيّ اللهِ ورسولهُ موشيه/موسى بعملٍ من أعمال الإصلاح ("تيكون" باللغة العبرية) حسبما تُخبرنا الآياتُ في بداية هذا النصّ الأسبوعي من نصوص التوراة، وذلك من أجلِ رأبِ الصّدعِ العميقِ الذي أحدثتهُ خطيئةُ العِجلِ الذّهبيّ. وتُشيرُ التوراة إلى ما قام به موشيه من خِلال استخدام نفس الكلمة في بداية الحديث عن خطيئة العجل الذهبي من جهة، والحديث عمّا يقوم به موشيه من إصلاح من جهة ثانية، وهذه الكلمة أصبحت في مُنتهى الأهمية في عالم الروحانيّة اليهودية، إنها كلمة مُشتقّة من الفِعل" قهَل" باللّغة العبرية، والذي يَعني جَمَعَ أو حَشَد، ومن هذا الجذر اشتُقّت كلمتا **"قهَل"** و**"قِهيلاه"**، أي المُجتمع، هذا المُفهومُ الراسِخُ في قلبِ حياتِنا البشرية في الماضي والحاضر. وكما سنَرى لاحَقاً، فإن الأبحاث العلميّة المُعاصِرة قد أثبتَت مَدى القوّة الاستثنائيّة للمُجتمعاتِ والتنظيماتِ الاجتماعيّة في تشكيلِ وصياغةِ الحياةِ البشريّة.

ولنبدأ بالجُزئية الأولى، وهي القِصّة التوراتية التي تتطرّقُ لحادثة العِجل الذهبيّ، حيث بدأت القِصّة بهذه الكلمات من الآية الأولى من المقطع الثاني والثلاثين من سفر الخروج: **"فَلَمّا رأى القومُ أن موشِه تأخَر في النزولِ من فوق الجبل، تجوّقوا (فَييقهيل) حول أهارونَ"**. وفي بداية هذا النصّ الأسبوعي من التوراة بدأ موشيه العملَ على تجديد العهدِ بين بني يسرائيل والله عزّ وجلّ، بحيثُ يعيدون تكريسهُم والتزامهم بتعاليمِ الله، خاصة بعد أن جلبَ موشيه اللّوحين الجديدين وبعدَ أن نال بنو يسرائيل مغفرةَ اللهِ، تبعاً لما تُخبرنا به الآية الأولى من المقطع الخامس والثلاثين من سِفر الخروج: **"ثمّ جَمَع موشِه بَني يسرائيل (فَيَقهيل)"**. بصريحِ العبارة، لقد ارتكبَ بنو يسرائيل تلك الخطيئة كمُجتمع بأكمله، وها هم يُعيدون بناءَ أنفُسِهِم كمُجتَمَع بأكمله أيضاً، وهذا يُذكّرنا بالرّوحانيّة اليهودية التي تعتبرُ روحانيةً جَماعيّة قبلَ كُلّ شيء.

ولنلاحِظ ما يقومُ به موشيه في هذا المقطع بالتحديد: إنّهُ يلفِتُ انتِباه بني يسرائيل إلى الركيزتين الأساسيّتين لبناء المُجتمع في الديانة اليهودية، فالرّكيزة الأولى في عُنصر الزمان، والأخرى في عُنصُر المَكان. أما الركيزة الأولى المُتعلّقة بالزمان فهي تتمثّلُ في يوم السّبتِ اليهوديّ المُقدّس (الشّبات)، في حين أن الركيزة الثانية المُتعلقة بالمكان فهي تتمثّلُ في "المِشكان"، أي بيت العِبادة الذي كان بمثابة حجر الأساس لِفِكرة بناء الهيكل اليهوديّ المُقدس، والذي تحوّل لاحِقاً (بعدَ الخرابِ الثاني للهيكل) إلى فِكرةِ الكنيسِ اليهوديّ. فهذه هي المواضِع التي نَرى فيها **"القهيلاه"** (المُجتَمَع) أكثرَ ما يكون: أوّلاً في

يوم السّبات اليهوديّ، عِندما نضعُ جانِباً هواتفنا المحمولة وشهواتِنا ومسائلنا الشخصية جانباً ونلتزمُ بتعاليم هذا اليوم كمُجتمعٍ بأكمله، وثانياً في الكنيسِ اليهوديّ الذي يُعدُّ بمثابة البيتِ والحاضنةِ للمُجتمع اليهوديّ.

في المُقابِل، فإن الديانة اليهودية تولي اهتِماماً كبيراً بالفَرد، وتعتبرُ أنّ حياة كل إنسانٍ تُعادلُ الكونَ بأكمله، وعلى الرغم من أن جميع البشرِ مخلوقونَ بصورة الله* عزّ وجلّ إلا أنه يوجدُ العديد من أوجه الاختلاف بينهم، لهذا تنظرُ اليهودية لكلّ إنسان على أنهُ كيانٌ فريدٌ مُتميزٌ لا يُمكنُ لأي إنسانٍ آخر أن يحلّ محلّه. لكن عبارة "لا خيرَ" قد ظهرَت أوّل مرة في التوراة في سفر التكوين، تحديداً في المقطع الثاني من الآية الثامنة عشرة والتي تقول: **"لا خيرَ في بَقاءِ آدمَ لوحده"**، ومن هذا المُنطلقِ فإن التوراة تتمحورُ حول شكل ومضمون الاجتماعِ البشريّ، فهي تُقدّرُ الإنسان على المستوى الفردي، لكنها لا تُشجّعُ الانفراد ولا النزعة الفردية.

لهذا نجدُ أن الديانة اليهودية هي مُعتقدٌ يقوم بالأساس على مبدأ التجمُّع والاجتِماع، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجدُ أن أقدَس الصلواتَ اليهودية لا تَتَمُّ إلّا بمشاركة عشرة رجال على الأقل والذي يُشار إليه بمصطلح **مِنيان** باللغة العبرية، في صورةٍ يتجلّى فيها الحدّ الأدنى لقيامِ المُجتمع، ذلك لأننا عِندما نُصلّي فنحنُ نؤدّي صلواتِنا كمُجتمعٍ بأكمله. وفي هذا السياق أستذكِرُ نظرية "أنا وأنتَ" للفيلسوف اليهودي المعروف مارتِن بوبر، والتي تُخالف تماماً الفلسفة اليهودية القائمة على مبدأ "نحنُ وأنتَ". بالتالي، وبالعودة إلى جُزئية العجل الذهبي، فإن موشيه كان يُدشِّنُ الأُسس لبناء مُجتمعٍ بأكمله من خلال ركيزتي الزمان والمَكان، تكفيراً عن الخطيئة الجماعيّة التي ارتكبها بنو يسرائيل.

وقد أصبحَت فكرةُ بناء المُجتمع من أبرز الفروقِ الجوهرية بين الثقافة التقليدية والثقافة المُعاصرة في الغرب، هذا الفرقُ البارزُ الذي يُمكننا إيجاده عبر الاستدلال بما جاء في ثلاث كتبٍ بارزةٍ تتطرّقُ للمُجتمع الأمريكي. فالكتابُ الأول هو "الحشدُ المُنفَرِد" (*The Lonely Crowd*) والذي قام بتأليفه كلّ من ديفيد ريسمان وناثان غلازر ورِعوئيل ديني عام 1950م، بحيث تطرّق هذا الكتاب إلى التغيّر في شخصيات وطِباع الأمريكيين. والكتابُ الثاني هو "أن تلعب بولينج لوحدك" (*Bowling Alone*) للمؤلفِ والمُحاضِر الجامعي في جامعة هارفرد روبرت بُتنام، والذي نشره عام 2000م مُتطرّقاً إلى ظاهرة انصراف الأمريكيين عن ممارسة لُعبة البولينج مُجتمعين، ومُمارستها فُرادى، الأمر الذي أدى إلى انخفاض عدد الأمريكيين الذين يشتركون في نوادي وبطولات لعبة البولينج بشكل عام. أما الكتاب الثالث فهو "الوحدة الجَماعيّة" (*Alone Together*) لأستاذةِ الدراسات الاجتماعية في معهد ماساتشوسيتس للتكنولوجيا (MIT) شيري تيركل، والذي نشرَتهُ عام 2011م مُتطرّقة لتأثير الهواتف الذكية وشبكات التواصل الاجتماعي على حياة البشر.

ولنتدبّر جيّدا في عناوين تلك الكتب، إنها تتطرّقُ للنزّعة البشرية المتزايدة نحوَ الانطواء والوحدة ووصولها إلى مراحل متقدّمة في ظلّ حالة الانكسار والانحلال التي تعيشها المُجتمعاتُ البشرية في الحياة المُعاصرة. وفي هذا السياق يوضِّحُ عالم الاجتماع الأمريكي روبرت بيلا بأن "البيئة الاجتماعية لا تتضرّرُ نتيجة الحروب والإبادات الجماعية والظُلم السياسي فحسب، بل تتضرّرُ أيضاً نتيجة تحطُّمِ الأواصر والروابط المتينة التي تربطُ البشر ببعضهم البعض، الأمرُ الذي يتركهُم في حالة من الوحدة والخوف والجزع"[1]. لهذا نجدُ أن الموضوعين الرئيسيين في هذا النص الأسبوعي من التوراة والذي يحمل اسم "**فَيَقهيل**" (أي موضوع يوم السّبات، وموضوع بناء بيت العبادة اليهوديّ "المِشكان" والذي تحوّل لاحقاً إلى الهيكل، ومن ثم تحوّل في وقتنا الحالي إلى الكنيس بعد خراب الهيكل) يُشكّلان موضوعين حَديثين يَتلاءمان مع روح العصر بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فهُما الترياقُ لكل داءٍ يؤدّي إلى إضعاف وتفكّك المُجتمعات البشرية، ومن شأنهما المساعدة في استعادة "الأواصر والروابط المتينة التي تربطُ البشر ببعضهم البعض"، لأنهما ببساطة يُعيدان ارتباطنا بالمُجتمع الذي نعيشُ فيه.

وبالنسبة لموضوع يوم السبت اليهوديّ، نجدُ أن الفيلسوفَ الأمريكي مايكل والزر يلفتُ انتباهنا إلى الفرق بين فكرة "العُطلة أو الإجازة "الاعتيادية، وفكرة "المُناسبة الدينية" (تحديداً الفرقَ بين يوم العُطلة أو الإجازة العادية، وبين عطلة يوم السّبت اليهودي)[2]، فمفهومُ العُطلة أو الإجازة الخاصة هو مفهومٌ حديثُ الظهور نوعاً ما، ويؤرِخُ مايكل والزر فترة ظهوره إلى سبعينيات القرن التاسع عشر، وهو مفهومٌ فرديّ (أو ربّما عائليّ) في جوهَرِه، موضِحاً بأن "من يحصلُ على يوم عُطلة أو إجازة يذهبُ أينما يحلو لهُ ويفعلُ ما يرغبُ به، لكنّ يوم السبت اليهودي هو نقيضٌ لذلك: فهو يومٌ لا يرتبطُ بالفرد، بل يرتبطُ بالجماعة والمجتمع في جوهره"، وهذا أيضاً ما تُخبرنا به الآية الرابعة عشر من المقطع الخامس من سِفر التثنية والتي تقول: **"واليومُ السابِعُ يومٌ للهِ ربّك، فلا تَعمَل شيئاً من الصّنائع، أنتَ وابنك وابنَتُكَ وعَبدُكَ وأَمَتُكَ، وثورُكَ وحِمارُكَ وسائرِ بهائمك، وضيفُك الذي في بيتِك لكَي يَستَريح، عَبدكَ وأَمَتُكَ مِثلُكَ".**

إنّ يوم السبتِ (الشّبات) هو يوم عامٌّ ومِن حَقّ الجميع، في حين أن يوم الإجازة هو كالسلعة التي نحنُ بحاجة لشرائها حتى نحصل عليها، خلافاً ليوم السبت الذي لسنا بحاجةٍ لشرائه حتى نتمتّع به، فهو يومٌ مُتاحٌ لكلّ إنسانٍ دون تمييز: "فهو يومٌ يحظى به الجميع، ويستمتع به الجميع". إننا حين نأخذُ يوم إجازة فإننا نتمتّعُ به على المستوى الفردي أو على المستوى العائلي في أحسن الأحوال، أما يوم السّبات فهو يوم نحتفلُ به ونُحييه كمُجتمعٍ بأكمله. والأمر نفسهُ ينطبقُ على فِكرة الكنيسِ اليهودي، وهي بالمناسبة فكرة فريدةٌ في عصرها، لهذا اقتبستها الدّيانتان المسيحية والإسلامية من خلال بناءِ الكنيسة والمسجد.

وبالعودة إلى كتاب "أن تلعب البولينج لوحدك" (*Bowling Alone*)، فإننا نجدُ أن مؤلّفهُ روبرت بُتنام يوضِحُ بين صفحات الكتاب حالة التحوُّل الاجتماعي بين الأمريكيين وكيف أصبحوا يميلون أكثر للانطواء والفرديّة، وهذا على حدّ تعبيره يُشكل خسارة في "رأس المال الاجتماعي"، ويعني ذلك فُقداناً للروابط والأواصرِ التي تربطُنا ببعضنا البعض على شكل مسؤولية جماعية من أجل تحقيق المصلحة العامة.

وبعد مضيّ عقدٍ من الزمنِ قام روبرت بُتنام بإعادة النظر في نظريّته [3]، موضّحاً بأن رأس المال الاجتماعي لا زال موجوداً بالفعلِ في الكُنُس اليهوديّة والكنائسِ المسيحية، مُشيراً إلى أن التواجُد المُنتظم في بيوتِ العبادة - بحسب ما أظهرت نتائجُ بحثه - يزيدُ من حجم مُساهمة الفردِ وتبرّعه لصالح الأعمال الخيرية، ومشاركته في الأعمال التطوّعية، مثل تبرعه بالدم أو قضائه وقتاً أكثر لمساندة من يشعرون بالاكتئاب، أو القيام عن الكُرسيّ لإفساح المجال لشخصٍ آخر كي يجلس، ومساعدة شخصٍ ما في العثور على وظيفة، وغيرها من السلوكيات والأعمال التي تندرجُ تحت إطار العمل الخيري والمتحضّرِ والأخلاقيّ.

إن أجواء الروحانيّة الجماعيّة تطغى على طباع من يرتادون دور العِبادة أكثر من غيرهم، لهذا فإن الحضورَ المُنتظَمَ إلى دور العِبادة هو أكثرُ عاملٍ يُساعدنا على **التنبؤ بحجمِ الإيثار لدى الفَرد**، فهو يُساعدنا أكثر من أي عاملٍ آخر من العوامل المُتعارف عليها لقياس الأمور مثل الجِنس أو التعليم أو معدل الدخل أو العِرق أو المستوى التعليمي أو الحالة الاجتماعية أو المُعتقدِ أو العمر وغيرها. لكن أكثرَ العوامل أهميّة – تبعاً لدراسته – كان **انتماء الفرد إلى مُجتمعٍ دينيّ مُعيّن، بغضّ النظر** عمّا يؤمنُ به ذلك الفرد. كما أظهرَت الدراسة أيضاً أن المُلحِدَ الذي يذهبُ بانتظام إلى دارٍ من دور العِبادة (ربما ليصطحبَ زوجته أو أبناءه) تزدادُ رغبتهُ في التطوّع لخدمة مطاعم الفقراء (أو التّكايا)، بدرجة تفوقُ رغبةَ المؤمنِ المُلتزم الذي يُصلّي وحيداً، بالتالي فإن العامل الرئيسي في كل ذلك هو المُجتمعُ قبل أيّ عاملٍ آخر.

بالتالي، قد يكونُ هذا واحداً من أبرز أدوار الدّين في الحياة العملية: إنه الحِفاظ على المُجتمعات البشريّة وإبقاؤُها على قيدِ الحياة. فغالبيّتُنا بحاجة ماسّة إلى الارتباط بمُجتمعٍ ما، لأننا - نحنُ البشرُ - حيواناتٌ اجتماعية بطبعنا، لدرجة أن بعضَ عُلماء الأحياء قد وضّحوا خلال دراسات أجريَت حديثاً بأن الازدياد الكبير في حجمِ الدماغ البشريّ مُقارنة بالكائنات الأخرى هدفهُ تمكيننا من توسيع شبكة علاقاتنا الاجتماعية. بالتالي ليسَ العقلُ وحده هو ما يُميّزنا عن غيرنا من الحيوانات، بل إن الفرقَ الأساسي بيننا هو إمكانيّتنا وقُدرتنا نحنُ البشرُ على الحياةِ في مُجتمعاتٍ كبيرة، ومثلما وضّحت التوراة فإنّه **"لا خيرَ في بَقاءِ آدمَ لوحده"**.

كما أظهرت دراسة أُخرى أجريت حديثاً وجودَ علاقةٍ قويّة بين الجماعةِ التي يرتبطُ بها المرءُ من جهة، وبين ما يفعلهُ في الحاضر وما سيفعلهُ في المستقبل من جهةٍ أُخرى. ففي عام 2009م قام الباحثان نيكولاس كريستاكيس وجيمس فولَر بإجراءِ تحليل إحصائيّ لعيّنة بحثيّة ضمّت 5124 شخصاً وعلاقتهم بِـ 53228 شخص ممن يُعتبرون أصدقاءهم وأفراداً من عائلاتهم وزملائهم في العمل. وقد وجدَت الدراسة أن مُمارسة أحد الأصدقاء للتدخين تزيدُ من احتمالية ممارسة الفردِ للتدخين بنسبة 36%، والحال نفسهُ ينطبق على شُرب الكحول والنحافة والبدانة وغيرها من الأنماط السّلوكية[4]. بالتالي لا شكّ بأن تصرّفاتنا ترتبطُ ارتباطاً عميقاً بتصرّفاتِ الأشخاصِ المحيطين بِنا.

وفي دراسةٍ أُخرى أجريت على مجموعة من طلبة كليّة دارتموث سنة 2000م، فقد أظهرت النتائجُ بأن إقامة الطالبِ الذي يشاركُ السّكن مع طالبٍ آخر يتمتع بسلوكيات دراسيّة جيّدة سيزيدُ من احتماليّة تحسّن الأداء الأكاديمي للطالبِ الآخر المُقيم معه. في حين أظهرت دراسةٌ أُخرى في جامعة برينستون عام 2006م بأنه في حال وجودِ ابنٍ أو ابنةٍ لدى أحد إخوتك أو أخواتك، فإنّ هذا سيزيدُ من رغبتك في إنجاب طفلٍ بنِسبة 15% خلال السنتين القادمتين. بالتالي يوجدُ شكلٌ من أشكال "العدوى الاجتماعية" بين البشر، فنحنُ نتأثرُ كثيراً بأصدقائنا، وهذا ما أكّدَ عليه أيضاً الحاخام الكبير موشيه/موسى بن ميمون في كتابهِ "مِشْنيه توراة" الذي وضّحَ فيه رؤيته ووجهات نظره في منظومة القوانين والتشريعات اليهودية.[5]

وبالعودة إلى رسولِ الله ونبيِّهِ موشيه وموضوع هذا النص التوراتي الأسبوعيّ "**فَيَقهيل**"، فإن وضعَهُ للمُجتمعِ في قلبِ الحياةِ الدينية اليهودية، ومنحَه للمُجتمعِ مساحة زمانية ومكانيّة في الحياة (من خلال يوم السَّبات كيومٍ مُقدّس والكنيسِ كبيتٍ للعبادة)، فإن موشيه وعبر هذه القيم يُظهِرُ لنا حجم القوّة والطاقة الإيجابيّة التي يتمتّعُ بها المُجتمعُ، تماماً مثلما أظهرَ لنا حجمَ الطاقة السلبيّة التي أحدثها وجودُ العجل الذهبي في حياتهم. لهذا فإنّ الروحانيّة اليهوديّة في أغلب جوانبها هي روحانيّة جَماعيّة، ومن وجهة نظري الخاصة فإنه يُمكننا أن نختزلَ تعريفَ العقيدة اليهودية بهذه العبارة: إنّها الخَلاصُ من العُزلة.

***مُلاحظة توضيحية من المُترجم**:

يُعدّ موضوع خلق الله للإنسان على "صورته وشبهه" محطّ نقاشٍ وجدال على مرّ التاريخ اليهوديّ، وقد ذُكر هذا الموضوع أيضاً في بعض الأحاديث النبوية الإسلامية، ولكنّنا نَوَدُّ مناقشتها انطلاقاً من وجهة نظر يهوديّة. وقد تطرّق الحاخام الراحل جوناثان ساكس- طيب الله ذكره - كبير حاخامات إنجلترا، إلى هذا الموضوع في عدّة مقالات تتعلّق بالنصّ الأسبوعي "بريشيت" يمكن إيجادها في موقعه الرّسمي، منها مقال "كتابٌ حيٌّ"(A Living Book) وآخر يُدعى "مراحل الخلق الثلاثة" (The Three Stages of Creation).

يُعدّ الإنسان العاقل (الاسم البيولوجيّ للنوع البشريّ) من وجهة نظرٍ يهودية مزيجاً فريداً من "تراب الأرض" و"نَفَسِ الله"، ممّا يجعله منفرداً مميّزاً عن باقي الخلائق، حيث أن وجوده لا يرتكز على جوهرٍ واحدٍ مثلهم وامتلاكه حرية الاختيار.

إن التأكيد على أهمية حرية الاختيار والحرية بشكل عامّ وكذلك التأكيد على أهمية المسؤولية، يُعتبر من أبرز مميّزات الفكر اليهوديّ. فالقول بأن الله عز وجلّ قد خلق الإنسان على صورته أو شبهه يُشكّل تناقضاً بحد ذاته، لكونه يتعارض مع ما أكّدت عليه التوراة مراراً وتكراراً بأن الله ليسَ له صورة على الإطلاق، وهذا ما تؤكد عليه الآية الرابعة عشرة من المقطع الثالث من سفر الخروج: "أكون ما أكون" في ردّ من الله على موسى/موشيه حين سأله عن اسمه.

إن الله عز وجلّ يتعدّى حدود الطبيعة، وهذه هي النقطة التي تؤكّد عليها قصّة الخلق في سفر بريشيت/التكوين، فالله مُطلق الحرّية وغير خاضع لأيّ من قوانين الطبيعة. وبخلقه الإنسان على صورته فقد منحنا بذلك الحرّية، وبالتّالي فقد خلق الإنسان بصفة في قمّة التميّز وفي قدرته على الخلق والإبداع، الأمر الذي يفسّر قدرة البشر على التغيير والتطوير الذاتي.

إن الكلمات هي أسمى أشكال الإبداع، وليست التكنولوجيا ولا العلوم، فمن خلال الكلمات فقط خلق الله هذا الكون بكلّ مخلوقاته. وعلى غرار ذلك فإن ما يميّز الإنسان العاقل عن الحيوانات الأخرى هو قدرته على الكلام، فقدرتنا على الكلام تمنحنا القدرة على التفكير الذي بدوره يجعلنا قادرين على تصوُّرِ عالمٍ آخر ومُختلفٍ عن هذا الموجود حالياً.

إن أول مرحلة في الخلق هي الكلمة الخَلّاقة، أي الفكرة والرؤية والحُلم. واللغةُ بجانب القدرة على تذكر ماضٍ بعيد وتخيّل مستقبلٍ أبعد، هُما أمران موجودان في صميم تميّزنا كوننا خُلِقنا بشكل منفردٍ على صورة الله وشبهه.

لكنّ القدرة على خلق أشياء جديدة ليست القدرة الوحيدة التي أنعم بها الله على الإنسان".

وكان هذا الأمر الذي علّمنا إياه كبار حاخامات اليهود منذ القدم: "مثلما يتّسم الله عز وجلّ بالكَرم، عليكُم أنتُم أيضاً أن تكونوا كُرماء، ومثلما يتّصف عز وجلّ بالرّحمة، فعليكُم أيضاً أن تكونوا رُحماء. ومثلما يتصفُ الله عز وجلّ بالقَداسة، فعليكُم أن تكونوا مُقَدَّسين". كما نرى جليّاً كيف وَصَف الأنبياءُ اللهَ عز وجلّ بالصّفات التالية: "الطّائِقُ والمُحسِنُ والصّالِحُ والأمينُ والكامل والجَبّار والقويّ وغيرها من الصفات. والهدف من وراء وصف الأنبياء لله عز وجلّ بهذه الصفات هو أن يعلّمونا بأن هذه الصّفات جيّدة وصالحة، وعلى الإنسان الملتزم أن يتّصف بها، واتصافه بها سيجعل الإنسان يقتدي بالله عز وجلّ قدرَ المُستطاع (بحسب ما وضحهُ الحاخام موشيه/موسى بن ميمون في كتاب "مِشنيه توراة"، باب هِلخُوتْ دِعوتْ 1:6).

وفيما يلي، نذكر بعض الخِصال الخاصة والمميزات التي يتمتّعُ بها الإنسان دون سائر المخلوقات الأخرى، ومن خلال هذه الميزات تظهرُ الغاية من وجود الإنسان. وهذه الخصال هي: **القدرة على الكلام، والقدرة على التفكير، والقدرة على إدراك الذات، والقدرة على الخلق والإبداع، وحرية الاختيار، والحس الأخلاقي.**

الخلاصة: إذا كانت هذه الافتراضات صحيحة بالفعل، أي أن هذه الخصال والمميزات الستة تُميزُ الجنس البشري عن سائر المخلوقات، وأنها الشروط الستة ذاتها التي تتطلّبها لتحميله المسؤولية الأخلاقيّة (وهي الصفاتُ الستة لصورةِ الله التي خُلقَ الإنسان بها)، فإنه من المنطقي أن نستنتج بأن الغايةَ من وجود الإنسان هو أن يستخدم تلك الخصال الستة ليعيشَ ضمن منظومة أخلاقيّة، ويُصبح خاضعا لمسؤولية أخلاقية تؤطّر سلوكياته. وفقط حين يتصرّف المرء على هذا النّحو، فحينها فقط يُصبح **إلى حدٍ ما** "على شَبَهِنا"، أي شبيهاً بعض الشيء باللهِ عز وجلّ، والشبه هُنا يعني تمتّع الإنسان بجزء محدود من صفات الله السامية والكاملة: مثل الصلاح والإحسان والصدق والرحمة والحنان.

---

1. Robert Bellah et al., Habits of the Heart: Individualism and Commitment in American Life (Berkeley: University of California Press, 1985), 284.
2. Michael Walzer, Spheres of Justice (Oxford: Blackwell, 1983), 190–96.
3. Robert Putnam and David E. Campbell, American Grace: How Religion Divides and Unites Us (New York: Simon & Schuster, 2010)
4. Nicholas Christakis and James H. Fowler, Connected: The Surprising Power of Our Social Networks and How They Shape Our Lives (New York: Little, Brown, 2009).
5. See Maimonides, Mishneh Torah, Hilkhot Deot 6:1
انظر كتاب الحاخام موسى بن ميمون "مِناه توراة"، باب "هليخت ديعوت" 6:1

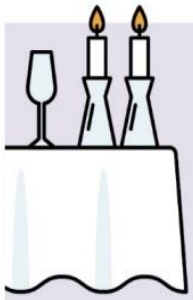

حَولَ مائِدةِ يومِ السّبتِ المُقَدَّسِ: أَسئِلةٌ لِلتَّأمُلِ

1- هل تستطيع التفكير في أوقاتٍ قد تُستخدم فيها فكرة الجَماعة لأمورَ جيدة وأخرى سيئة؟
2- برأيك هل انتماء الفرد لمُجتمع مُعيّن هو أمرٌ ضَروريّ؟ لماذا؟
3- هل وجودك في مجتمع معين هو أمرٌ ضروريّ بالنسبة لك فيما يتعلق بالتزامك وحِفاظك على يوم السبت اليهودي المقدس (الشَّبات)؟

●These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition at **https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/vayakhel/the-social-animal/**

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism*, *Bar Ilan University*